

كتابا: (الغارة على العالم الإسلامي) و (العالم الإسلامي اليوم) الغزو الفكري

إعداد أ/ محمد الجوهري

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية - جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

waleed.eltantawy@mediu.edu.my

خلاصة—هذا البحث يبحث في كتابي: (الغارة على العالم الإسلامي) و (العالم الإسلامي اليوم).

الكلمات الافتتاحية: الغارة، الإسلامي، التبشير.

I. المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد أخي الطالب، سلام من الله عليك ورحمة منه وبركاته، ومرحباً بك في سلسلة الدروس المقررة عليك في إطار مادة الغزو الفكري، لهذا الفصل الدراسي، أملين أن تجد فيها كل المتعة والفائدة، وفي هذا الدرس نتعرف على كتابي: (الغارة على العالم الإسلامي) و (العالم الإسلامي اليوم).

II. موضوع المقالة

من الأمور التي وضعوها في مؤتمرا تهم وتواصوا بها: أنهم قسموا العالم الإسلامي إلى مناطق جغرافية. هناك منهجان لهذا التقسيم: منهج يقسم العالم الإسلامي إلى قلب وأطراف: قلب العالم الإسلامي يشمل منطقة الحرمين الشريفين ومصر. وأطراف العالم الإسلامي تشمل: شرق وجنوب شرق آسيا، وشرق وجنوب شرق إفريقيا، والبلاد التي تقع فيما نسميه نحن الآن: أوربا الشرقية، والتي كانت خاضعة لبلاد الاتحاد السوفيتي قبل أن ينقرض عقد روسيا فيما بعد. وهذا المنهجان كل منهما وسيلة في التعامل. فهناك من كان يرى أن أصلح وسيلة لنشر تعاليم الإنجيل بغية تنصير المسلمين: أن تركز أولاً على الأطراف؛ فيموت القلب من تلقاء نفسه. ويشبهون هذه الحركة بالطائر؛ فانت إذا قصصت أطراف الطائر لا يستطيع أن يطير، وقد يموت تلقائياً بدون حرب. المنهج الثاني يقول: لا، بل الأولى: أن تبدأ بضربات سريعة موجهة إلى القلب، فإذا مات القلب ينقطع ضحك الدم عن الأطراف؛ فتموت تلقائياً.

وبعد الحربين العالميتين الأولى والثانية ظهر من يناهز بالأخذ بالمنهجين معاً: منهج الضغط على الأطراف، والضرب في القلب. والذين لهم دراية وخبرة ويستطيعون تحليل الواقع الذي تعيشه الآن، يجدون مصداق ما نقول منقداً وواقعاً فعلياً على الأرض وفي العالم الإسلامي.

أود أن أضع أمام حضراتكم: أن هذه القضية لم تغب عن أعين النصارى حكماً ومحكومين. وهناك كتابان مهمان جداً أشير إليهما لمن أراد أن يرجع إلى شيء من التفصيل: كتاب اسمه: (الغارة على العالم الإسلامي) لأحد المستشرقين الفرنسيين اسمه "إل. شاتليه"، تُرجم إلى اللغة العربية بعنوان: (الغارة على العالم الإسلامي) بواسطة الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله.

في هذا الكتاب يبين هذا المستشرق الخطط والمناهج العملية للاستشراق، ويبين لنا تاريخ تأسيس الاستشراق جيلاً بعد جيل. فابتداءً يضع أمام أيدنا التقسيم الجغرافي للعالم الإسلامي، ثم يبدأ يبين لنا تاريخ تأسيس الجمعيات والمؤسسات والمعاهد التبشيرية في هذه المناطق. فعلى سبيل المثال نجد أنه في سنة ١٦٦٤م في القرن السابع عشر، تأسست مدرسة تسمى: "قاعدة علمية لتخريج المبشرين". يتعلمون في هذه الكلية أصول التبشير ووسائله، ثم ينطلقون إلى أنحاء العالم. أين تأسست هذه الكلية؟ تأسست في قلب أوربا.

نتنقل من ١٦٦٤م نجد بعدها وقبل أن يمضي قرن من الزمن تأسست جمعية أخرى أيضاً في قلب أوربا - في لندن بالذات - تسمى: "الجمعية اللندنية التبشيرية". وتأسس نظيرها في اسكتلندا. ثم انتقلت القضية إلى نيويورك، تأسست جمعية بنفس الاسم "جمعية أمريكا التبشيرية". وفي نفس الوقت تأسس في ألمانيا، والدنمارك، وهولندا، والسويد،

والنرويج، وسويسرا، جمعيات مماثلة لنشر المسيحية ١٧٩٥م. يعني: في أواخر القرن الثامن عشر - كل جمعية في أية دولة من هذه الدول بدأت تنتشر لها فروع في أنحاء العالم؛ فتأسست جمعيات فرعية لكل واحدة من هذه البلاد فيما يسمونه: "جمعيات التبشير في أرض التوراة العثمانية" التي هي أملاك الدولة العثمانية. وحدتكم - وأنا أتكلم عن الاستشراق - أن هناك مائة مشروع لتقسيم الخلافة العثمانية، نستطيع أن نعرف من الآن: أن هذه الجمعيات التبشيرية التي انتشرت في أنحاء أوربا كيف تعاونت فيما بينها على وضع هذه المائة مشروع لإسقاط الخلافة العثمانية.

سنة ١٨٥٥م تأسست جمعية الشبان المتطوعين للتبشير بالمسيحية في البلاد العربية. في ١٩٠٢م تأسست جمعية "تبشير الشبان"، ومهمتها الخاصة استمالة المرأة، بنتاً، أو زوجة، أو مطلقاً، أو أرملة، طالبة، أو عاملة، أو ربة بيت.

في ١٩٠٧م تأسست جمعية لتبشير الكهول من النساء والرجال، واحتضانهم في بيوت تسمى: بيوت كبار السن. وهذه منتشرة في أنحاء العالم.

ولا يفوتنا هنا أن نتكلم عن نشاطهم في إفريقيا أيضاً؛ ففي ١٨٠٤م تأسست جمعية كنسية بروتستانتية تحت حماية الاستعمار الفرنسي في إفريقيا الغربية. في ١٨٠٤م هذه الجمعية بالذات بدأت تنتشر لها فروع في شرق وجنوب ووسط إفريقيا. في ١٨١٩م

اتفقت الجمعية الكنسية البروتستانتية مع الأقباط في مصر، وألفت في مصر إرسالية عهدت إليها بالتبشير في إفريقيا الشرقية وفي وسط إفريقيا. وركزت هذه الجمعية بالذات على منطقتين مهمتين: جنوب السودان، والحبشة. ثم عززت ألمانيا هذه الإرسالية بالذات، وفتحت لها فروعاً في المنطقة التي يدور فيها الصراع في جنوب السودان الآن.

ثم توافد المبشرون على إفريقيا الوسطى بالذات عقب بعثة (استالتي) سنة ١٨٧٨م. وقسموا إفريقيا مناطق مناطق فيما بينهم؛ بحيث إن كل إرسالية تابعة لدولة معينة تضع يدها على منطقة جغرافية من إفريقيا لنشر تعاليم الإنجيل. وسوف نعلم فيما بعد ما هي الوسائل التي كانوا يخاطبون بها أهل إفريقيا، أو يتعاملون بها مع أهل إفريقيا، لنشر تعاليم المسيح فيما بينهم، خاصة إذا علمنا أن معظم بلاد إفريقيا كانت في هذا الوقت لا تعرف شيئاً عن الإسلام ولا عن المسيحية، وإنما كانت ديانتها أقرب إلى الوثنية منها إلى أي دين سماوي.

هذا فيما يتعلق بالكتاب الأول وهو كتاب: (الغارة على العالم الإسلامي). أما الكتاب الثاني الذي أود أن أشير إلى أهميته في هذا المقام؛ لأنني قلت في بداية الهرس: أنني ساعتمد على كتابات المبشرين في لقائي معكم حول هذا الموضوع. الكتاب الثاني يسمى: (العالم الإسلامي اليوم)، كتبه أحد كبار المبشرين في الخليج العربي، وهو القسيس "زويمر"، كان رئيساً لإرسالية التبشير في البحرين، وكان يعمل تحت حماية أمريكا في هذه المنطقة، وكتب هذا الكتاب وهو: (العالم الإسلامي اليوم). والكتاب عبارة عن مجموعة تقارير عن أعمال المبشرين في الجزيرة العربية، في سوريا، ولبنان، والشام، في مصر، في البصرة، في البحرين، في الكوفة، في وسط إفريقيا.

وجاء في مقدمة هذا الكتاب أمور مهمة جداً، أود أن أضعها أمام حضراتكم. فإن مقدمة هذا الكتاب كلها عبارة عن إلحاح على ضرورة التبشير بين المسلمين. ويوجه نقده الشديد إلى المؤسسات التبشيرية، ويصفها بالكسل والتواني أو التخاذل عن نشر تعاليم الإنجيل بين المسلمين؛ بل إنه يعتبر المؤسسات التبشيرية ارتكبت خطأ كبيراً بتركها المسلمين وشأنهم؛ إذ ظهر لها أن أهمية الإسلام في هذه الدرجة الثانية حوالي ثمانمائة مليون وثني - هكذا يعتبرهم "زويمر".

وضع هذا الكتاب في النصف الأول من القرن العشرين، وكان تعداد المسلمين وقتها لم يتجاوز أو لم يصل إلى المليار الذي نتحدث به الآن، فكان يحكم عليهم بأنهم وثنيون.

ويطلب "زويمر" في هذا الكتاب الإلحاح على ضرورة الإسراع بالتبشير بهمة ونشاط، ويقول: "إن أبواب التبشير صارت مفتوحة الآن في جميع الممالك الإسلامية، مثل: الهند - وركز على الهند وإندونيسيا بالذات - والصين الجنوبية، ومصر، وتونس والجزائر". ثم يقدم نصائحه إلى المبشرين قائلاً: "يجب أن يكون تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أغصانها، أو أحد أعضائها.

وكيف يكون المبشر بالمسيحية مسلماً؟ عن طريق نشر الاتحلال، والتجرد من الشعائر والطقوس الدينية، ومحاولة تشويه الإسلام وتزيين المسيحية؛ فينشأ جيل لا علاقة له بالإسلام، ولا صلة له بالإسلام، ولا يريد أن يعرف شيئاً عن الإسلام . هذا اللون من الأجيال يسهل اقتيادها إلى ما يراه المستشرقون".

ثم يقول: " ينبغي للمبشرين ألا يياسوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة؛ إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين، وإلى ما طرحناه عليهم من تحرير المرأة". وانتبه يا أخي لهذه العبارة: "قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وإلى ما طرحناه عليهم من قضية تحرير المرأة".

ويشير إلى أن أهم معاهد التبشير التي أنشئت في مصر هو: المعهد الذي أسسته جمعية اتحاد مبشري أمريكا الشمالية سنة ١٨٥٤م. وقد استطاع المبشرون منذ هذه الحقبة حتى سنة ١٩٠٤م أن يحتكوا بالمسلمين في مصر، عن طريق مؤلفاتهم ومدارسهم، وعن طريق المحاضرات العامة وبقية ألوان النشاطات المختلفة التي استخدموا فيها كل ما هو متاح ثقافياً واجتماعياً.

المراجع والمصادر

- ١- الميداني، عبد الرحمن حسن ، (أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها)، دار القلم ١٩٩٠م.
- ٢- الميداني، عبد الرحمن حسن ، (أسس الحضارة الإسلامية ورسائلها)، دار القلم ١٩٨٠م.
- ٣- كوني زيفلر، (أصول التنصير في الخليج العربي: دراسة وثائقية)، ترجمة: مازن صلاح مطبقاني، مكتبة ابن القيم ١٩٩٠م.
- ٤- جريشة، علي، (الاتجاهات الفكرية المعاصرة)، دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٩٠م.
- ٥- حسين، محمد محمد، (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)، دار الرسالة ١٩٩٣م.
- ٦- الفيومي، محمد إبراهيم، (الاستشراق رسالة استعمار)، دار الفكر العربي ١٩٩٣م.
- ٧- السباعي، مصطفى، (الاستشراق والمستشرقون، ما لهم وما عليهم)، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م.
- ٨- زفروي، محمود حمدي، (الإسلام والاستشراق)، دار القلم العربي ١٩٩٤م.
- ٩- شلبي، عبد الجليل، (الإسلام والمستشرقون)، دار الشعب ١٩٧٧م.
- ١٠- الطهطاوي، محمد عزت، (التبشير والاستشراق)، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩١م.
- ١١- خالد، مصطفى، (التبشير والاستعمار في البلاد العربية)، وعمر فروخ، المكتبة العصرية، ١٩٨٦م.
- ١٢- عبد العزيز العسكر، (التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي)، مكتبة العبيكان، ١٩٩٣م.
- ١٣- علي عبد الحليم محمود، (الغزو الفكري والتيارات المحاربة للإسلام)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلس العلمي، ١٤٠٤هـ.
- ١٤- السايح، أحمد عبد الرحيم، (الغزو الفكري)، سلسلة كتب الأمة، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤١٤ هـ.
- ١٥- البيهي، محمد، (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار)، دار الفكر، ١٩٧٠م.
- ١٦- الزعبي، محمد علي، (الماسونية في العراق)، مؤسسة مطابع معتوق، ١٩٧٥م.
- ١٧- عطا، أحمد عبد الغفور، (الماسونية)، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٧٨م.
- ١٨- السقا، محمد صفوت، (الماسونية)، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٨٢م.
- ١٩- العواجي، غالب بن علي، (المذاهب الفكرية المعاصرة دورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها)، المكتبة العصرية الذهبية، ٢٠٠٦م.